مسرح مسرحيون

أول الستارة

المحرر

لإننا نعشق المسرح على الدوام، فلا شيء أحب وأجمل من الاحتفال بيوم المسرح العالمي الذي أقرته منظمة (اليونسكو) منذ العام 1966 ككرنفال أممي لكل المسارح والمسرحيين في العالم، تنطلق فعالياته في 27 / آذار من كل عام.

كنا نحتفل في سنوات العقد السبعيني المنصرم كما تحتفل قبيلة المسرح في جميع المعمورة في هذا اليوم بعروض مسرحية منتقاة من خزائننا المسرحية، ثم حفل صغير عامر بالموسيقى والغناء والحلوى، ليختتم بالجوائز وشهادات التكريم.

يذكر المسرحيون العراقيون، إن المركز العراقي للمسرح، كان يقود هذه الاحتفالية في سنوات ذلك العقد الاثيرة، ويعمل جاداً لإنجاحها ضمن تقاليد مميزة تضاهي أرقى الاحتفاليات المقامة على منصات العالم.

كانت مسارحنا وقتذاك، تؤمن بتراثنا الثقافي والعرقي، وبأهمية الجديد والمستحدث في مجالات الابداع الادبي والفني. وكنا نؤمن أشد الايمان بان تراثنا هذا سيظل عصياً على أن يمسه اي ضرر، أو وهن، أو تغييب، ولكن طغيان الديكتاتور كان لنا بالمرصاد منذ جلوسه على العرش في العام 1979.. ولعل قرار إيقاف مسرحية (بيت برناردا البا) في مسرح بغداد من قبل مديرية الأمن العامة في ذلك العام دليل واضح وملموس على ذلك الطغيان الديكتاتوري المقيت، الذي سعى بشكل حثيث إلى مضايقة كافة المسرحيين المتقدميين واعتقال الكثير منهم وتشريد الآخرين في بلدان الغربة.

لكن المسرح العراقي ينهض الآن من جديد كما تنهض الثقافة الحرة، على الرغم من حالات الارباك والوهن نتيجة التركة الثقيلة لزمن الديكتاتور، الامر الذي يتطلب تفعيل دائرة السينما والمسرح والمركز العراقي للمسرح واتحاد المسرحيين العراقيين والفرق الاهلية، آملين أن تكون إحتفاليتنا بيوم المسرح العالمي لهذا العام منطلقاً لمسيرة واسعة الخطى دائبة ودائمة.. مع التحية والاعتزاز لكافة المسرحيين في العراق والعالم.

زينب.... رائدة المسرح العراقي

هل الناس الذين سيأتون بعد مائة عام، سيذكروننا أم ينسوننا؟؟

د. جمانة القروي

هذه الجملة التي أردناها عنواناً لهذا الموضوع قالها الكاتب الروسي العظيم تشيخوف في مسرحية (الشقيقات الثلاث..) وكأنه كان يتنبأ بالمستقبل ويخاف الأيام التي قد تعبث بذاكرة الناس فلا يعودوا يتذكرون مبدعيهم وصانعي تراثهم..

فهل يذكر العراقيون الفنانة زينب؟؟ فنانة مسرحية معطاءة.. عرفتها مسارح بغداد والمحافظات، ممثلة ملتزمة نذرت فنها من أجل مسرح عراقي تقدمي هادف، يرفع من مستوى الذوق الفني العام.. مناضلة تقدمية، شجاعة أوقفت حياتها وفنها من أجل قضية شعبها ووطنها.

فهل بقي أحد من جيل الخمسينيات والستينيات الذي سحق تحت رحى التعذيب والإرهاب والمقابر الجماعية يتذكر صرختها وهي تقول (أنا أمك يا شاكر)!!!

وهل يعرف جيل السبعينيات والثمانينيات.. جيل الحصار والحروب والقمع من هي (سليمة الخبازة) في (النخلة والجيران) لرائعة غائب طعمة فرمان.. فأين لهم ذلك وسلطة الموت والخوف حرفت تاريخ العراق وطمست كل ما هو تقدمي ووطني؟!

من هي زينب؟؟

امرأة متسلحة بالطيبة والبساطة، ذات قيم ومبادئ.. مناضلة إيمانها ثابت بقضايا شعبنا الأساسية.. فنانة ذات موهبة إبداعية رفيعة..

ولدت فنانة الشعب زينب (فخرية عبد الكريم) في بغداد، بين أحضان عائلة وطنية معروفة في مقارعتها للظلم والتعسف والاستعمار والإقطاع، كان والدها يعمل مدير الزراعة، وبحكم ذلك تنقل وعائلته إلى العديد من المحافظات العراقية، ومنها محافظة الناصرية (ذي قار) حيث نشأت وترعرعت هناك، ثم انتقلت إلى محافظة الكوت (واسط) لتكمل فيها المرحلة المتوسطة.. ثم عادت إلى بغداد وهناك تابعت دراستها الإعدادية ثم دخلت دار المعلمين العالية وتخرجت منها.

في عام 1948 دخلت المعترك السياسي، فكان لها دور بارز ومميز في الكفاح الذي خاضه شعبنا ضد معاهدة بورتسموث وحكومة صالح جبر ابان وثبة كانون الثاني المجيدة حيث كانت زينب في مقدمة المظاهرات الطلابية التي اجتاحت بغداد آنذاك.. انتمت إلى الحزب الشيوعي عام 1950.. وساهمت بشكل فعال في المظاهرات التي اجتاحت بغداد في تشرين الثاني عام 1952 ومارافقتها من المعارك الدموية التي خاضها شعبنا ضد

كان عام 1952 حافلاً بالأحداث المهمة في حياتها، حيث عينت مدرسة في ثانوية الكوت للبنات، وبسبب نشاطها السياسي تعرضت إلى الكثير من المضايقات حيث انتقلت للعمل في العديد من محافظات العراق... قدمت مسرحية (زواج بالإكراه) من تأليفها وإخراجها وقد مثلتها مع نخبة من معلمات وطالبات مدرسة الرمادي للبنات وقد خصص ريعها للطالبات الفقيرات مدرسة الرمادي للبنات وأثارت المسرحية ضجة كبيرة، وتعرضت بسببها زينب للقذف والتشهير..

فصلت من الوظيفة عام 1954 بسبب نشاطها السياسي ابان الهجمة الشرسة على الحركة الوطنية...

اختيرت عام 1956 من بين عشر ممثلات لتأدية دور (فهيمة) مع الفنان يوسف العاني، ومن خلال دورها هذا ابرزت كممثلة موهوبة، ويعتبر فلم (سعيد أفندي) أول عمل فني جاد قدمته للسينما العراقية...

عند قيام ثورة 14 تموز المجيدة سنة 1958 أعيدت زينب إلى وظيفتها كمدرسة ثانوية. كان لها دور مشهود في الدفاع عن الثورة، حيث قادت المظاهرات الجماهيرية التي انطلقت مساندة للثورة... يقول زوجها المخرج لطيف صالح: "عندما سمعت زينب البيان الأول للثورة تموز خرجت من بيتها (في الحلة) وهي تزغرد وتصرخ لنتصرت الثورة، مما أثار الناس فتجمعوا حولها وهي ما تزال تهتف للثورة وتبرع أحد الباعة المتجولين بعربته لتصعد عليها زينب وهي تزغرد وتهتف فرحاً بانتصار الشعب والجيش"..

التحقت الفنانة زينب بفرقة (المسرح الحديث)، سنة 1959، حيث قدمت اولى ادوارها وهو أم شاكر في مسرحية (انه أمك يا شاكر).. مع الفنان يوسف العاني... وتوالت أعمالها المسرحية والتلفزيونية والسينمائية والإذاعية... إلى جانب موهبتها الفنية، كانت تكتب القصة القصيرة وكذلك التمثيليات الإذاعية، كان يسمع لها كل أسبوع تمثيلية إذاعية من تأليفها... استمرت الفنانة زينب في عطائها الفني إلى أن وقع انقلاب 8 شباط عام 1963 المشؤوم، فخرجت لتؤدي واجبها الوطني في الدفاع عن ثورة 14 تموز المجيدة مع جماهير الشعب ومن أجل بقاء شعلة الثورة وهاجة، إلا أن البعثيين القتلة كانوا قد صمموا وأعدوا كل شيء من أجل وئد الثورة. فاضطرت للهروب إلى كردستان والكوت هناك

إلى بغداد عام 1965 لممارسة نشاطها في المنظمات النسائية، وعملت كمدرسة في مدرسة (النجاح) الأهلية.

أعيدت زينب إلى وظيفتها أسوة بباقي المفصولين السياسيين عام 1968 حيث عينت في مدرسة ثانوية (المنصور)، ثم أصبحت فيما بعد مشرفة تربوية.. في نفس العام مثلت مع الفنان خليل شوقي فلم (الحارس) الذي حاز على الجائزة الفضية لمهرجان قرطاج السينمائي في تونس..

أزدهر عطاء الفنانة زينب الفني في السنوات التالية من خلال فرقة (المسرح الفني الحديث) فمثلت أدوار أجادة وهادفة في مسرحيات (تموز يقرع الناقوس) و(الخرابة) و(الخان) و(بيت برناردا البا) التي حازت فيها على جائزة أحسن ممثلة في العراق أما دورها في مسرحية (النخلة والجيران) فقد كان نقلة هامة في حياتها الفنية، فمن منا لا يذكر (سليمة الخبازة)؟

لم يقتصر عطاؤها الفني على السينما والمسرح، بل قدمت أعمالاً كثيرة للإذاعة والتلفزيون ومن أهم تلك الأعمال (الربح والحب)، (بائع الأحذية) وقد نالت عن هذين العملين الجائزة الأولى في مهرجان الخليج التلفزيوني....

اقترنت الفنانة زينب بالمخرج والفنان لطيف صالح عام 1970 ليكون رفيق مشوارها الفني والسياسي... عملت في نقابة الفنانين، وفي اتحاد الأدباء ورابطة المرأة العراقية منذ تأسيسها..

بعد الهجمة البعثية الشرسة ضد كل القوى التقدمية والديمقراطية عام 1978 يقول الفنان لطيف صالح "كانت فترة رهيبة ومظلمة، مظلمة جداً، فقد قطع التيار الكهربائي عن مسرح بغداد أثناء عرض مسرحية (بيت برناردا ألبا) فاضطررنا إلى اشعال الشموع والفوانيس.. والاستعانة بممثلات أخريات من خارج الفرقة لإكمال العرض، حيث اضطرت ممثلات المسرحية لترك العراق.. ورغم ذلك كان الجمهور يصفق بحرارة في نهاية كل عرض، إلى أن منعت المسرحية نهائياً" ثم منعت الفنانة زينب من دخول الإذاعة والتلفزيون ومنعت حتى من كتاباتها.. فاضطرت لمغادرة العراق عام 1979.

زينب والمنافي

أصعب شيء على الفنان الملتزم الذي يحب ويحترم فنه وخشبة المسرح التي يقف عليها.. هو الابتعاد عنها.. يحس وكأنه قد انتهى، يشعر بفراغ في أعماقه، هناك شيء ما ينقصه.. لذلك لم يكن من السهل على فنانة الشعب ترك وطنها.. كانت تذرف الدمع لحار عندما كانت تفكر بذلك.. لكنها في النهاية أذعنت لصوت الغربة والاغتراب... من اجل الحفاظ على اسمها وشرفها وفنها..

عشقها للمسرح جعلها تشكل فرقة مسرحية في كل المنافي التي عاشت بها.. جعلها تمثل مع هواة، وهي الممثلة ذات التاريخ الحافل.. همها الوحيد تنشئة جيل جديد ينهض بالمسرح من بعدها.. ذللت كل العقبات من أجل أن يكون هناك مسرح هادف يقرب الناس من وطنهم، ويحميهم من وحشة الغربة...

لقد مرت زينب في العديد من المحطات بعد مغادرتها العراق في أوائل شهر كانون الثاني 1979.. فما أن تفتح حقائبها في اي دولة حتى تحزمها من جديد لترحل إلى بلد آخر.... الكويت كانت أول تلك المحطات ثم لندن لتمكث هناك 60 يوماً.. سافرت إلى بلغاريا لتبقى فيها ثلاثة أشهر... وفي نهاية شهر تموز من العام نفسه سافرت إلى عدن، حيث عينت هناك مستشارة فنية في وزارة التربية ومشرفة على إجازة التمثيليات التلفزيونية..

في عدن أسست فرقة مسرحية باسم (فرقة الصداقة) تولت رئاستها، وقد استفادت من طاقات خريجي معهد وأكاديمية الفنون الجميلة ممن اضطرتهم ظروف العراق إلى مغادرته. وكان أول عمل مسرحي مثلته الفرقة بعد تأسيسها (مغامرة رأس المملوك جابر) تأليف سعد الله ونوس، وإخراج لطيف صالح وعرضت على المسرح الوطني في عدن.. ومسارح أخرى، وفي محافظة أبين وكذلك في معسكرات الجيش اليمني...

ثم قدمت الفرقة رواية (الأم) لمكسيم غوركي والتي كان قد مسرحها بريخت واشترك فيها أيضاً عدد كبير من المثلين وأخرجها سلام الصكر.. كما قدمت الفرقة مسرحية (غرف التعذيب) من إخراج سلام الصكر أيضاً...

نشطت زينب في مجال الصحافة كانت تكتب الشعر والقصة القصيرة والعديد من المقالات التي نشرتها في جريدة 14 اكتوبر...

منتصف عام 1981 حملت حقائبها مرة أخرى، لتكون دمشق محطتها الجديدة والتي كانت حافلة بإبداعها... إذ عينت في وزارة الثقافة.. وأسست فرقة (بابل) المسرحية التي كانت تضم مجموعة كبيرة من المثلين، كانت أولى أعمالها مسرحية (الحصار) من تأليف عاطل كاظم وإخراج لطيف صالح التي لاقت نجاحاً كبيراً. ثم مسرحية (ثورة الموتى) من إخراج سعد السامرائي.. وتوالت الأعمال فقدمت مسرحية (وحشة وقصص أخرى) من إخراج روناك شوقي وقد عرض هذا العمل في مهرجان دمشق الدولي، حيث اعتبرت فرقة (بابل) ممثلة العراق في المهرجان، وذلك لغياب الفرقة القومية عنه... كما قدمت ايضاً مسرحية (قسمة والحلم) من إخراج سلام الصكر.. كان لا يفوت زينب الاحتفال بيوم المسرح العالمي كل عام فقد كانت حريصة على تقديم عرض مسرحي بهذه المناسبة..

خلال وجودها في دمشق قامت بتأليف لإذاعة صوت الشعب العراقي..

تركت الشام سنة 1990 متوجهة إلى بلغاريا، للالتحاق بزوجها بعد حصوله على بعثة لإكمال دراسة الدكتوراه... وبسبب الأوضاع الاستثنائية التي كانت تمر بها الدول الاشتراكية لم تمكث زينب سوى بضعة أشهر هناك...

حملت حقائبها هذه المرة إلى بلاد الصقيع إلى (ستوكهولم) عاصمة السويد في 22 تموز 1990، وانتقلت إلى مدن أخرى ليستقر بها المقام أخيراً في مدينة (يوتيبوري)، كان أول شيء فكرت به الفنانة زينب هو انشاء فرقة مسرحية.. منتصف عام 1991 شكلت فرقة (سومر) المسرحية من الهواة، اختيرت زينب مدير أفنياً لها. باكورة أعمال فرقة سومر كان في يوم المسرح العالمي (صور شعبية وصورة) من تأليفها، واستمر العرض لثلاث ليال متتالية، كما قدمت الفرقة مشهداً من مسرحية (مغامرة رأس المملوك جابر) بعنوان (الجوع)... ثم عرضت سومر مسرحية (أنه أمك يا شاكر) ومسرحية (قارب في غابة).. ثم مسرحية (يا غريب أذكر هلك).. أهم أعمال الفنانة زينب في المنافي.. هي (الام) التي قدمت في عدن... (وحشة وقصص أخرى) (قسمة والحلم)، في دمشق... (صور شعبية وصورة) في المنفى الأخير السويد...

رحلت وعيونها شاخصة نحو العراق

لم يكن الموت بحد ذاته يخيفها أو يرعبها.. لكن لوعة فراق الأحبة والوطن.. وان يحتويها ثرى العراق المروي بماء دجلة والفرات... هذا ما كان يخيفها.. كانت دائماً تردد لماذا.. وعلى ماذا نخاف بعد أن فقدنا وطننا...

كانت صحتها جيدة، لاتشكو شيئاً متفائلة دائماً ونشيطة.. محبة للحياة، إلا أن هاجساً غريباً لازمها منذ زمن بعيد وشكاً كان يراودها باستمرار، بأنها ستكون ضحية ذلك المرض الخبيث.

في عام 1994 شعرت بوهن في ساقيها، وراجعت على اثر ذلك الاطباء، الذين ركزوا على المفاصل.. لم يكتشفوا المرض إلا بعد أن استفحل وبالصدفة رغم أنها كانت تخضع للتحاليل المختبرية الأسبوعية.. عندما علمت بحقيقة مرضها لم تخنها شجاعتها في مواجهة مصيرها.. كانت تضحك وتمزح مع زوارها، بمعنويات عالية جداً وتحملت بصبر وصمت آلامها.. حتى رحيلها يوم 13 آب 1998... حيث خرجت لوداعها جموع غفيرة من العراقيات والعراقيين واتجاهاتهم بالإضافة لعشرات الشخصيات والوجوه السياسية والثقافية والفنية من مختلف أنحاء العالم.. في موكب مهيب لم تشهد السويد مثله من قبل، حيث تقدمت الموكب دراجتان ناريتان لشركة المرور وسيارة خاصة فيها نعش الفقيدة ملفوفاً بعلم عراق 14 تموز ومكسواً بأكاليل الزهور.. كما ألقيت في المقبرة كلمات مؤثرة لوداع فنانة الشعب زينب...

سنحدث الناس عنك... كل الناس.. فسيعرفك كل العراق، بكل أطيافه وطبقاته... سيبقى أسمك رمزاً للمسرح الهادف الحر.. وفنك شجرة وارفة حية في قلوب العراقيين....

أهم الاعمال المسرحية للفنانة زينب..

انه أمك يا شاكر / رسالة مفقودة / الخال فانيا / الخان / الشريعة / تموز يقرع الناقوس / قسمة والحلم / الحصار / النخلة والجيران / الخرابة / شعيط ومعيط وجرار الخيط / الينبوع / وحشة وقصص أخرى / الأم / مغامرة رأس المملوك جابر / بغداد الازل بين الجدل والهزل / سواليف ليل / صور شعبية وصورة / فوانيس / شفاه حزينة / ثورة الموتى / الملكة السوداء / ست دراهم / بيت برنارد ألبا / دون جوان / نفوس / صور جديدة / هاملت عربياً / أنا ضمير المتكلم..

زينب.. جرد حساب أخر

عشرات الاعمال الفنية والتلفزيونية..
مئات الاعمال الاذاعية تأليفاً وتمثيلاً..
• الأفلام
- سعيد أفندي
- أبو هيله
- الحارس
• الجوائز
- أفضل ممثلة عن دورها في (بيت برنارد ألبا)
- أفضل ممثلة عن دورها في بائع الاحذية (جائزة التلفزيون الخليجي).
- جائزة مهرجان قرطاج السينمائي لفيلم الحارس
• مسلسلات تأليفاً
- الساقية المهجورة
- أمل والريح
- في مهب الريح
- ما فات القطار (سجلت للتلفزيون الكويتي)

السياب والمسرح

علي مزاحم عباس

لعلنا لن نظلم أحداً إذا ما ذكرنا إن ثمة محطات معينة من حياة الشاعر الكبير بدر شاكر السياب (1964-1926) ما زالت بمنأى عن تناول الباحثين واهتمامهم، من تلكم المحطات المنسية ما يشير إلى موقف السياب من المسرح، وإلى ثقافته الفنية وموقفه من المسرح لأهميته في ترصين خزينه الثقافي وشحذ ذائقته الجمالية. فارجو ألا يساور القارئ الظن بأني سأكون افضل من غيري في سد هذه الثغرة، فحسبي أن اشير اليها تحفيزاً لقرائح محبي السياب والمعجبين بشاعريته المعروفة.

فالمعروف عن السياب إنه أمضى سنوات طفولته وصباه حتى عام 1943 - سنة اكماله الدراسة الثانوية - في قريته ومدينته البصرة، في ذلك الوقت عرف مسرحنا ركوداً مريعاً تحت وطأة الحرب العالمية الثانية وفي الوقت نفسه، كان المسرح المدرسي أو الطلابي يدرج على أرض وعرة تكسوها أشواك الاهمال أو التجاهل. ومن المشكوك فيه أن يكون مبعث إهتمام السياب بالمسرح اكثر من الاهتمام العابر والمتقطع، فعالمه "لم يتعد القرية وضواحيها ومدينة البصرة وما عرف عنها" على حد قول د. إحسان عباس. غير إن هذا لا ينفي معرفته الأولية بادب المسرح والمسرح ليس أدباً وحده. فان مسرحية "تاجر البندقية" لشكسبير قد عرفت طريقها إلى مقررات الدراسة الثانوية بعد اعدادها لتناسب المرحلة.

وفي السنة الثالثة من انتسابه إلى دار المعلمين العالية أي سنة 1945/1946 تحول من قسم اللغة العربية إلى قسم اللغة الإنكليزية. وكان طلبة هذا القسم يقدمون سنوياً مسرحية واحدة في الاقل بالانكليزية ومن المحتمل إن السياب كان يشارك في احداها، واثر الاضراب الذي قامت به الكلية انخرط السياب في نشاطه فما كان من الكلية إلا فصله ثم أعيد إليها.. وبعد مضي خمس سنوات دراسية تخرج ليعين مدرساً في ثانوية الرمادي التي لم تعرف المسرح حينذاك. ويذكر السياب في مذكراته التي نشرها في جريدة الحرية "إنني قد قرأت معظم ما كتبه شكسبير في لغته الاصلية" وقد علق الناقد (احسان عباس) على ما ذكره السياب باعتباره من باب "المباهاة الثقافية"! لكنه لم ينكر عليه قابليته على هضم ما يدرس"!

وبصرف النظر عن رأي د. إحسان فان فحوى الخبر يؤكد إن السياب قد اطلع على شكسبير بعد تخرجه. وتتجلى هذه الحقيقة في شعر السياب بما يتضمنه من أمثلة مقتبسة ومن امثلة ذلك تضمينه ملحمته الشعرية "الاسلحة والاطفال" مقطعاً من مسرحية "روميو وجوليت"

"دعيني فما تلك بالقبرة!
دعيني اقل إنه البلبل
وإن الذي لاح ليس الصباح"

اقتبسه من ترجمة باكثير التي نشرها عام 1947. وانقضت السنوات (1947-1953) بما تحفل عليه من ضنك واضطهاد وضياع وخصوبة شعرية في الوقت نفسه. تعرف فيها على العديدين ومنهم جبرا ابراهيم جبرا الذي اسمعه ترجمته لـ "هاملت" ووصف حياة السياب بأنها دراما مأساوية أعاد صبها في شعره. وابان عمله في الصحافة بعد فصله من التعليم، قرأ بعض النماذج الرفيعة من الادب المسرحي، فوقعت بين يديه مسرحية ذات فصل واحد هي "الشاعر والمخترع والكولونيل" للشاعر والفنان البريطاني بيتر الكساندر استينوف فنشرها في جريدة "الاسبوع" مطلع عام 1953 ثم اعاد خالص عزمي نشرها عام 1971 في كتيبه "صفحات مطوية من أدب السياب" ومما ذكره عزمي (ص 46-47) إن شخصية الشاعر، وهي واحدة من ثلاث شخصيات تتألف منها المسرحية، قد استهوت السياب ودخلت صميم اعماقه واستحوذت على مشاعره.

أما حسن توفيق فيذكر في كتابه "شعر بدر شاكر السياب دراسة فنية وفكرية في ص32" إن ترجمة السياب للمسرحية تحمل طابع النبوءة الغريبة بمرض الشاعر الذي أودى به إلى النهاية الحتمة.

ويخيل إلي إن الباحث لم يكن دقيقاً

الآخر مريض ينشد للموت بعد تجاوزه الثمانين وييأس من أن ينصفه احد فتمنى الموت. وتتناقض هذه الفكرة مع إيمان السياب بالحياة، وتختلف عن النص الأصل.

والحدث الثير في حياة السياب وعلاقتها بالمسرح ما قام به الراحل جاسم العبودي يوم أخرج مسرحية "موتى بلا قبور" عام 1960 لسارتر، حيث عزى العبودي إفتقار العرب لمسرح خاص بهم، إلى حياة الترحال البدوي، بينما يتطلب المسرح ثباتاً واستقراراً وعندما ظهر عندهم فن "خيال الظل" فذلك يعني إستقرار المجتمع. وبذلك يكون السياب ذا رأي خاص به، مثلما وقف ضد العامية في التأليف بذريعة الواقعية إذ نفى أن تكون العامية مرادفة للواقعية.

كتب :

جماليات البروفةوسيرة رجل مسرح عراقي مغترب

عدنان منشد

بعد سلسلة طويلة من الاصدارات الفنية والنظرية والجمالية في عالم المسرح، يطل علينا المخرج العراقي المغترب جواد الاسدي بكتاب جديد عنوانه "جماليات البروفة" وهو حلقة من مجموعة انهماكات وشواغل مسرحية في الاخراج والسيرة والنقد والتوثيق، أو إن صح القول، كتاب يتعلق بيوميات الاخراج المسرحي في تجربة الاسدي، كما جاء في المتن الداخلي لهذا الكتاب. بدأ الكاتب تلك المجموعة، بكتب مسرحية مهمة، أمثال (الموت نصاً / إنسوا هاملت / المسرح والفلسطيني الذي فينا / مرايا مريم / ...) والحقها أخيراً بـ (جماليات البروفة).

في كل من هذه الكتب، يتناول الأسدي حصاداً وافراً من تجربته المسرحية في بلاد الغربة: دمشق، بيروت، فلسطين، دولة الامارات العربية، إسبانيا، السويد، فرنسا. ليفرشها على الورق، منقباً وفناناً وناقداً مسرحياً في آن، بل مفتشاً عن خصوصيتها الابداعية، إنطلاقاً من سيرة بناء التمرين المسرحي من جهة، ومن سيرة بناء العرض على منصات المسرح من جهة أخرى. ولا نملك إلا أن نقول حول "جماليات البروفة" بانه كتاب في سيرة رجل مسرح، قوامه ما ينبغي أن يكون عليه العرض المسرحي، خصوصاً وإن الذاكرة المسرحية، لم تألف تدويناً ذاتياً، وبهذه الشفاهية والحميمية والشعرية العالية التي يعبر عنها نص جواد الاسدي في هذا الكتاب.

يقول د. إبراهيم عبد الله غلوم، في مقدمته لهذا الكتاب: "... هذا توق جديد لكتابة ما يجري في بروفات يصعب على القارئ العادي أن يتخيلها.. يوميات صعبة، متوترة.. مليئة بالخوف والأمل، مكتضة برغبات منسجمة ومتناقضة".

ومع أهمية هذا التقديم، إلا إننا وجدنا، إن الاسدي إعتمد على عالمه الشخصي، والظرف الذي جمعه بذلك الشخص أو ذاك، خصوصاً في أعماله المسرحية المعروفة، أمثال: "الاغتصاب / العائلة توت / إنسو هاملت / الخادمات / الجنزرة / ماكبث / العنبر رقم 6.." فكان ثمة مبدعون في هذا العالم. كسعد الله ونوس وشكسبير وجان جينيه وتشيخوف. وكان على رأسهم بالطبع المخرج المبدع المشاكس جواد الاسدي، الذي يعيد كتابة النص المسرحي دوماً، مهما كانت مرجعياته وأصوله، توافقاً مع جماليات التمرين المسرحي الشاق، أو جماليات (البروفة) التي جعلها عنواناً للكتابة.

لا نغالي إن قلنا إن جماليات هذه (البروفة..) كانت مرفقة بالشعر والموسيقى والتشكيل والقصة والسياسة والفكر وانهماكات المسرح المتعددة الاخرى، جعلت للكتاب صفة موسوعية، تمنح القارئ، فكرة معلنة وملموسة عن هموم مخرج عراقي عاش ردحاً طويلاً في المنافي، فضلاً عن تساؤلاته المسرحية ومنحنيات أفكاره وهمومه الابداعية.

رافق ذلك قدرة الاسدي النقدية والجمالية في ربط الابداع المسرحي، النصي والاخراجي والثقافي بالتطور الشامل للمسرح العالمي، مما خلق في متن كتابه تساوقت مع أشجانه الوطنية، كمغترب منذ قرابة الثلاثين عاماً. ومع هموم العصر عامة.

الملاحظ، إن الاسدي توسع في قراءة وإضافة بروفاته المسرحية، خصوصاً في تسليط الضوء على مجموعة الممثلين العاملين لديه، امثال: أمل عمران، فايز قزق، أحمد معلا، غسان مسعود، دلع الرحبي، لينا الباتع، غسان عزب، مفيد أبو حمده، هاني السعدي، نادرة عمران، روناك شوقي، ندى حمصي، نورمان أسعد.. وغيرهم الكثير، الامر الذي يدلل على عمق إشتغالات هذا الفنان في كيفية إصطياد الممثل ليوقعه في حفرة اللبس الادائي، أو عملية التزيي بالدور.

اخيراً، يمكن القول، إن كتاب صديقنا المغترب جواد الاسدي، رغم جمال العرض ورشاقة الاسلوب والغنى المعلوماتي، حمل طابعاً تجميعياً واضحاً، فأكثر جوانب هذا الكتاب، كنا قد قرأناها مقالات منشورة في مجلات عربية مختلفة، فضلاً عن إفتقاره إلى قضايا التبويب والتفضيل والعنونة والفهرسة والمراجع.. بل، ثمة أسئلة كثيرة يستطيع القارئ أن يبذل قصارى جهده في الاجابة عليها، وهو يقرأ صفحات هذا الكتاب دون أن يتلمس جذورها في داخله. لكنه يستطيع أن يلمسها في النهاية بشكل اخر، حيث يقف أمام عمق تجربة الاسدي الاخراجية وطريقة عمله مع ممثليه أو مبتكري فضاءاته المسرحية.